الجزويتية والطرائق الاسلامية

(تتمة ما في الاجزآء السابقة)

بقي الكلام على روح هذه الجمعيات وغايتها وهو امرٌ لو أردنا ان نستقصيهُ ونتتبع كل مقاصد الجزويت واغراضهم لنردّها الى الاصل الاخواني لطال بنا البحث الى ما لا يقف عند حدّ ولكننا نكتفي بان نجمع الطرفين في مبدإٍ واحد وهو صدور كلٍّ منهما فيما يفعل وما يذَر عن ايعاز سماوي. ولا يخفى ان من مقتضى ذلك مزج السلطة الدنيوية بالسلطة الروحية والخلط بين السياسة والدين والاستيلاء بقوة السرّ وقوة التقليد على الارادات والضمائر. ولذلك ترى اصحاب الطرائق ابداً في مؤامراتٍ سرية وترى من رُسل الاخوان وسعاتهم من يجوب البلاد الاسلامية فيبادل الاخوان كلمات السر ويبلغهم اوامر مرسلهِ. ولبعض الجمعيات ما لا يقلّ عن مئة الى مئة وعشرين زاوية يُلتقى فيها الرسل فيستقبلهم المقدَّمون ومن هناك تنتشر تلك الاوامر في سائر العالم الاسلامي

واذا تفقدنا تاريخ الجزويت وجدنا لهم مثل هذه الحركة المتواصلة في جميع الممالك المسيحية وعلى الخصوص في فرنسا الجمهورية . فأوامر رمزية تصدر من الاديار وسعاةٌ توجَّه بها الى اللجان السرية والجرائد ومؤامراتٌ ودسائس تجري في الخفآء ثم تنفجر ورآءها الحرب المقدسة دفاعاً عن حوزة الدين والوطن والجيش حالة كون كل أولئك لا يشعرون بادنى حاجةٍ الى الى هذا الدفاع

ونحن مع تحرزنا من كل ميل في هذا البحث الانتقادي حرصاً على الحقائق التأريخية ان تدنو منها شوائب الغرض فانا لا نجد محيداً عن التصريح بان من مذهب الجزويت ان يحكموا على الغالب ببراءة القاتل السياسي . وحسبك ان ثلاثة وعشرين لاهوتياً من اكابر علماء هذه الجمعية كماريانا وسوارز و بلرمينوس واسكوبار خطبوا جهراً في تزكية القتل . وقد اثبتت صحف التاريخ عدة احكام صدرت عليهم لاسبابٍ من هذا القبيل منها الحكم بطردهم من فرنسا سنة ١٥٩٤ لما اتُّهم جان شاتيل احد تلامذتهم في محاولته قتل هنري الرابع . ومنها الحكم على الاب جنيار[1] سنة ١٥٩٥ بالشنق في ساحة جراف لانهم وجدوا له كتاباتٍ بين صحف الجمعية يطنب فيها بمدح القتل والقاتلين ... ومنها الحكم على جزويت باريز سنة ١٦١٠ بالتعزير لانهم مثلوا في احدى كنائسهم رافياك قاتل هنري الرابع صاعداً الى السماء .

(١) تقدم لنا في مجلد السنة الثانية في فصل التعريب كلامٌ على كيفية رسم الحروف والحركات الاعجمية التي ليس لها لفظٌ عندنا بنيناهُ على الاصل الذي اشار اليهِ ابن خلدون وهو رسم الحرف الذي بين مقطعين من حروفنا بما يدل على المقطعين جميعاً حتى يتوسط اللافظ بينهما (راجع ص ٤٥٥ — ٤٥٦ من السنة الثانية وصفحة ٥١٨) وقد طبعنا رسوم الحركات في اوائل الجزء الاول من هذه السنة و بقي مما اشرنا اليهِ في فصل التعريب رسم الجيم التي تلفظ بين الجيم والكاف وهي التي تراها في المتن وقد جعلناها مركبةً من الحرفين المذكورين كما ترى في رسمها . ولا بأس هنا ان نعيد رسم الحركات المذكورة اجابةً لطلب بعض القرآء وهي هذه العلامة « ـُ » لما بين الضم والفتح (o) . وهذه « ـٌ » لما بين الضم والكسر (u) . وهذه « ـٍ » لما بين الفتح والكسر (e) . وهذه « ـً » لما يجمع الحركات الثلاث (eu)

ومع ذلك الحكم على الاب جُوفَنسي باحراق مؤلفهِ في تاريخ الجزويت لانهُ ذكر فيهِ ان قتلة الملوك شهدآء وقديسون وقد أُحرق هذا الكتاب بيد الجلاّد سنة ١٧٠٧ . واخيراً الحكم على الجمعية بأسرها بالنفي لانها كانت تفسد الاخلاق وتُقلِق السكينة في البلاد وذلك سنة ١٥٩٨ من هولندا حيث حاولت قتل مُوريس دُناسُّو وسنة ١٦١٨ من بوهيميا وسنة ١٦٤٣ من مالطا وسنة ١٧٢٣ من روسيا وسنة ١٧٩٥ من البرتوغال حيث عمل الاب ما لَجْريدا ومما لثوهُ على قتل الملك بطرس الاول وسنة ١٧٦٧ من اسپانيا وسيسيليا ونابلي لانهم تآمروا على احداث ثورةٍ في البلاد المذكورة . ولسنا نتعرض للحوادث التي لا تزال ورآء حجاب الريب كالدسيسة على اليصابات ملكة انكلترا وكالمؤامرة المعروفة بمؤامرة البارود[1] ومحاولة داميانوس احد تلامذة الجزويت لقتل لويس الخامس . وجملة الامر انهُ قد ثبت بمثات من البيّنات ان جمعية الجزويت انما هي جمعية سرّية ذات

---

(١) هي مؤامرة مشهورة في التاريخ عقدت سنة ١٦٠٥ لعهد الملك جاك الاول كان من غرضها نصرة الكثلكة في انكلترا وتجديد ما انحلّ من امرها وكان في جملة القائمين بها اناسٌ من الجزويت منهم الاب جارنّاي فتواطأوا على اهلاك الملك ووزرآئهِ وجميع اعضآء مجلس الاعيان . وللوصول الى ذلك عمدوا الى ستة وثلاثين برميلاً من البارود اخفوها تحت الردهة التي يجتمعون فيها وكان في عزمهم أن يضعوا فيها النار يوم مجيء الملك لاستئناف فتح المجلس ولكن قبل ان يحلّ موعد الاجتماع نمي الامر الى الملك واصحابهِ في كتابٍ غفلٍ من اسم الكاتب فقُبض على اصحاب المؤامرة وسلّموا الى العذاب وكان من نتيجة ذلك ان زيد في التضييق على الكاثوليك وسيموا اشدّ انواع الخسف

عملٍ سياسي وان من دأبها مناصبة الملوك وذوي السلطة ممن لا يدين لاغراضها فهي ابداً متأهبة لان تتذرع الى مآربها بالقوّة أو بالغيلة فتستعين بالجند أو بالفتّاك وتستخدم السيف أو الخنجر. ولقد اجترأ البابا اكليمنضوس الرابع عشر سنة ١٧٧٣ على الغآء هذه الجمعية عملاً بطلب الفريق الأكبر من ملوك اوربا بعد ما اثبتوا لهُ انها آفةٌ للمجتمع ومعثرةٌ للدين المسيحي فكان من قولهِ عند ما وقَّع على مرسوم الالغآء «ليكوننّ هذا سببَ منيَّتي». وفي الواقع فانهُ مات بعد ذلك بأقل من سنة والى الآن فان اعدل التواريخ وابعدها عن التشيّع لا تخلو عند ذكر هذا الحادث من التعريض بشبهة التسميم

وفي الختام فانا اذا تفقدنا ما كان للجزويت من الاثر في احوال الامم والاجيال والسياسات والاديان من كل ما أُشرِب روحهم ووُسم بطابعهم وجدنا هنـاك الفساد والاضمحلال وظلّ الموت . فهاتان الأُورُوجْوَاي والبارائجوّاي لم يتركوهما الا خراباً . وهذه جمهوريات اميركا الجنوبية بأسرها قد اصبحت اطلالاً . وهذه جزيرة كوبا والجزائر الفيلبية قد ناهزت الخراب ولولا ثورة اهلها لطلب الحرية لدمرت بتاتاً . اما اسپانيا فقد اكل الدهر عليها وشرب . انتهى

اصل اللغات السامية

(تتمة ما سبق)

وهناك بحثٌ آخر في صيَغ مزيدات الافعال واخصّ منها صيغتي إنفعَلَ وتفعَّلَ وهما في العبرانية نِفعَلْ بكسر النون وهِتْفَعَّلْ بهـآء مكسورة

بعدها تآء ساكنة . وهذان المثالان موضوعان لنقل الفعل من التعدّي الى اللزوم وهو استقرار حدوثهِ في نفس الفاعل غير انهُ لما كان كلٌ منهما متعدّياً في الاصل بقي فيهِ هذا التعدّي بعد النقل واقعاً على نفس فاعلهِ . وبيانهُ ان قولنا انكسر الزجاج مثلاً يكون الزجاج فيهِ فاعلاً لان الفعل مسندٌ اليهِ ومفعولاً بهِ في المعنى لان اثر الكسر واقعٌ عليهِ كما لا يخفى . فاذا تقرر ذلك لزم الحكم بان في كلٍ من الزيادتين معنًى يدلُّ على المفعول بهِ حتى يتناولهُ معنى التعدّي الذي في اصل الفعل وهذا ما اردت بيانهُ في هذا الموضع وهو يُستنبَط من العبرانية بما يقرب من مقتضى النظر ولا يبعد عن مظنّة الواقع . وذلك انّا نقول انهم اتوا بضمير النصب المتصل وهو نِي من قولهم فَقَدَنِي مثلاً اي زارني فجعلوهُ في صدر الثلاثي المجرّد وحذفوا يآءهُ لالتقآء الساكنين بينها وبين فآء الفعل وقالوا نِفْعَلْ . ثم اسندوا هذا الفعل الى مرفوعهِ وقالوا نِفْرَدْتِي مثلاً اي انفردتُ وحينئذٍ اجتمع فيهِ ضميران لصاحبٍ واحد احدهما فاعلٌ والآخر مفعولٌ بهِ على حد قولنا ظننتني وعلى حدّ ما يسمّيهِ الفرنسيس فعلاً ضميريّاً فانهُ جارٍ عندهم على هذا النظم الا ان الضمير الاول لما صار من اصل بنية الكلمة بقي لفظهُ مع غير المتكلم فقيل نِفْرَدْتَا ونِفْرَدُو اي انفردتَ وانفردوا وهلمّ جرًّا . واتوا بضمير النصب المنفصل وهو أَتْ بالامالة المرادف لإيَّا عندنا فادخلوهُ على الفعل الرباعي فصار إِتْفَعَّلْ ثم ابدلوا من همزتهِ هآء على سنّتهم في الهمزة الداخلة على اوائل الكلم وقالوا هِتْفَعَّلْ . ويؤيدهُ ان هذا الاصل باقٍ بصورتهِ في السريانية في هذا المثال وغيرهِ من كل ما اولهُ تآء عندنا وفي وزن إِفْتَعَلَ فانهم يقدّمون التآء

فيه يقولون إتفعّل بالامالة الّا اذا وليها حرفٌ من حروف الصفير فيقدّمونهُ عليها طلباً لتسهيل النطق . ومن هنا يُؤخَذ ان اصل استفعل عندهم اتسفعل فأُخِرّت التآء لمكان السين ومن ثمَّ يتحقق الاصل الذي ذكرناهُ في جميع هذه المزيدات على الاطلاق

قلت واذا صحَّ هذا التوجيه في صيغة نِفعَل كان حجةً على ما يزعمهُ النحاة من ان الضمير في نحو ضربني هو اليآء وحدها والنون مزيدة لوقاية الفعل من الكسر فانهُ منقوضٌ بوقوع هذه النون في اول الفعل كما ترى ولا معنى للوقاية هناك . وحينئذٍ يتعيّن انها من اصل بنية الضمير وانما حُذِفت مع غير الفعل للفرق بين المنصوب والمجرور كما هو شأن الضمائر في كثير من اللغات

عَوْدٌ . ومن الغريب ان كثيراً من الالفاظ الدائرة في استعمال كلٍّ من اللغتين والتي لا مرادف لها في معناها تنفرد باشتقاقها واحدةٌ منهما دون الاخرى . وذلك كلفظة كُلّ فانها في العربية كلمةٌ مُقتضَبةٌ لا يظهر لها مشاركةٌ لسائر مادتها واذا رددتها الى العبرانيَّة اتّصلت بمادّة كَلَل ومعناها أتمَّ وأكمل . وعكسها لفظة بين فانهُ لا يظهر لها اشتقاقٌ عندهم وعندنا يمكن ان تُجعَل مصدر بانَ اذا انقطع ووجه استخدامها ظاهر والامثلة في كل ذلك كثيرةٌ نقتصر منها على ما اوردناهُ تبصرةً للمستدلّ ولولا ضيق المقام لاتينا منها بما يقضي بالعجب . فاذا تدبَّرت ذلك كلهُ لم تبقَ عندك شبهةٌ في كون اللغتين شيئاً واحداً ولم يصحّ في حكمك ان احداهما منتزعةٌ من الاخرى انتزاع الفرع من الاصل والّا لم يبقَ الاصل اصلاً ولا الفرع

فرعاً ۰ وذلك لما وضح من ان اصل الوضع متحققٌ في كلٍّ من اللغتين تنفرد به هذه تارةً وتلك تارةً اخرى فكلٌ واحدةٍ منهما متوقفةٌ على الاخرى في بيان ذلك الاصل على السوآء ۰ وحينئذٍ فالدليل واقفٌ بين طرفي الحكم فلم يبقَ الاّ ان يُقضى بالاصالة لكلتيهما معاً او يتبيّن لهما اصلٌ ثالث

فاذا امكن الحكم بعد هذا بالوحدة بين العربية والعبرانية لم يبقَ اشكالٌ في الحكم بالوحدة بينهما و بين الإرَميَّة بفرعيها لتوسطها بين اللغتين واخذها من كلٍّ منهما بطرف ۰ وذلك ان الجمع في هذه اللغة يكون بالنون بدل الميم ۰ وتزاد النون في الافعال بعد واو الجمع ويآء الواحدة زيادةً مطّردةً في المضارع ۰ ويُدَلّ على التأنيث في ماضي الغائبة بالتآء ۰ وتُفتتَح مزيدات الافعال بالهمزة دون الهآء فيهما ۰ ويأتي فيها المصدر ميمياً ۰ وتُبنَى الصفة مما فوق الثلاثيّ بنآءً مطّرداً بزيادة ميم موضع حرف المضارعة مكسوراً ما قبل آخرها للفاعل ومفتوحاً للمفعول الى غير ذلك ۰ فهي في هذه كلها ادنى الى العربية ۰ والحروف في هذه اللغة هي عين الحروف العبرانية باعدادها ومقاطعها ۰ واذا سكنت النون فيها تُدغَم فيما بعدها او تُحذَف وتُشبَع حركة ما قبلها ۰ ولا تثنية فيها الاّ في اسمآء محفوظة لا تتجاوز فيما نقلوا اربعةً ۰ وليس فيها من الصيَغ المختصة بالجمع الاّ الجمعان السالمان ۰ وكلّ لفظةٍ بُدئت في العربية بالواو فهي فيها باليآء ۰ والسين والشين متعاقبتان بين الفاظها والفاظ العربية الاّ في النادر ۰ فهي في هذه كلها اقرب الى العبرانية ۰ وفيما بقي من احكامها فهي تارةً تطابق اللغتين جميعاً وتارةً تخالفهما جميعاً وكذلك حالها في الاوضاع والمعاني فهي على الجملة بينَ بين

وقد وقع في الإرَمية مثل ما وقع في غيرها من تفرّق اللهجة وتباين المنطوق غير انهُ لنزارة المنقول من قديمها لا يتحقق منها الاّ لغتان احداهما الكلدانية والاخرى السريانية الا ان الفروق بينهما يسيرة لا تتعدى في اصل الوضع عدداً قليلاً من الالفاظ على نحو ما مرّ في لغات العرب مع اختلافاتٍ اخرى عارضة من نحو زيادةٍ او نقصٍ في بعض الحروف وتبديلٍ في بعضها مما ليس لهُ كبير وقع . والفصل الاعظم المميز لكلٍ منهما اختلافهما في لفظ الألِف فان الكلدان ينطقون بها الفاً صريحة فيقولون إلاَهَا مثلاً والسريان ينحون بها الى الواو فيقولون أُلوهُو . وهذه الالف كثيرةٌ في لسانهم يزيدونها فيما خلا جمع المذكّر السالم في آخر كل اسمٍ غير مضافٍ ولا علَم بمنزلة التنوين عندنا. وهي لازمةٌ لمصحوبها في حالتي التعريف والتنكير اذ لا اداة للتعريف عندهم وربما اسقطوها عند ارادة النص على التنكير وهو من الغرابة بمكان . ولهذا كان الفرق الذي نذكرهُ بيّناً في كلامهم كثير الشيوع في الفاظهم حتى لا تكاد تخلو عنهُ جملة

وعلى نحو ما ذكرنا يتمشى الحكم في سائر اللغات الساميّة فلا حاجة الى الاطالة باستقرآئهنّ على انهُ لم يبقَ منهنّ الا رسومٌ ضئيلة وآثارٌ محيلة وما وُجِد منهنّ من الكتابات القديمة لا يخرج عن مماثلة اللغات الباقية مما يشهد بان هذهِ الهيئة مستقرّةٌ في اصل اللهجة الساميّة من اقدم عهدها لا تُعرَف قبلها هيئةٌ اخرى . وفي كل ما ذُكِر كلامٌ لا موضع لهُ في هذا المقام والله سبحانهُ اعلم بالصواب وهو حسبنا ونعم الوكيل

التوقيت في الصين

لاهل الصين في التوقيت وتقدير الازمنة طريقةٌ تباين اصطلاح اهل الغرب كل المباينة وهي الطريقة المستعملة عندهم منذ قرون كثيرة فان السنة عندهم هي السنة القمرية الا ان بداْتها تتعين بحركة الشمس فليس عندهم سنة شمسية محضة ولا سنة قمرية خالصة ولكن سنتهم تجري على اعتبار الجرمين جميعاً ٠ ورأس السنة لا بد ان يقع يوم بدر حين تكون الشمس في برج الدلو وعليهِ فهو لا يقع قبل ٢١ من يناير ولا بعد ١٩ من فبراير من شهورنا وهو عجيب

اما الشهور عندهم فلا تكون الا قمرية لكي يكون وسط الشهر ابداً في اوان البدر ولكن لما كانت شهور القمر لا تكون الا من ٢٩ أو ٣٠ يوماً وحساب السنة عندهم تابعٌ للشمس لزم ان يزيدوا في كل ثلاث سنين شهراً وهو شهر الكبس.

اما اسماء الشهور فلا وجود لها عندهم ولكنها تتعين بالعدد فيقال الشهر الاول والشهر الثاني وهلمَّ جرًّا وشهر الكبس يزيدونهُ بين الشهر الثاني والثالث أو بين السادس والسابع فيقولون مثلاً الشهر السادس والشهر السادس الآخر ثم الشهر السابع والشهر الثامن وهلمَّ جرًّا ٠ على انهم في لغة الشعر يسمون الشهر السادس بشهر الرمان لانهُ في هذا الشهر يكون الرمان في اوان الزهر

ولليوم الاول والخامس عشر عندهم مزية مخصوصة فيهملون فيهما كل عملٍ ذي بال ويوقد التجار مشاعل امام صورة تساي تسين اله الغنى

ولهم قسمةٌ اخرى للسنة الى ٢٤ ميقاتاً كل ميقاتٍ منها نحو ١٥ يوماً

الا انها ليست مطَّردة على وتيرةٍ واحدة وهي تتعين بحركة الشمس ايضاً فأولها يقع حوالي ٦ فبراير حين تقطع الشمس ١٥ درجة من برج الدلو

والقرن عندهم ستون سنة لامئة وهم لا يبدأون التاريخ من حادثٍ مشهور كميلاد المسيح مثلاً أو تأسيس رومية أو الهجرة ولكن يرجعون بهِ الى حكم احد ملوكهم فيقولون مثلاً في السنة الرابعة والعشرين لكُنغ سُو في الشهر العاشر في اليوم الخامس عشر منهُ وقس على ذلك

واليوم ينقسم عندهم الى اثنتي عشرة ساعة كل ساعة منها ١٢٠ دقيقة والساعة تنقسم الى ٨ اثمان كلٌّ منها ١٥ دقيقة والساعة الاولى من اليوم تبدأ الساعة ١١ ليلاً اي قبل نصف الليل بساعة من ساعاتنا أو بستين دقيقة . قلنا ولعل هذه القسمة أَقيَس للموافقة بين ساعات اليوم وشهور السنة لان الشهور انما كانت اثني عشر شهراً باعتبار قسمة فلك الارض الى اثني عشر برجاً تقطعَ منها في كل شهر برجاً وهذه البروج بعينها تقطعها كل هاجرة من الارض كل يوم مرةً فتقطع في كل ساعتين برجاً فأحرِ بساعات اليوم ان تكون اثنتي عشرة ساعة كذلك وهو التقسيم الطبيعي كما لا يخفى

واما آلات التوقيت فقبل ان تصل اليهم الساعات الاجنبية كانوا يستخدمون عدة ذرائع لمعرفة ساعات اليوم ولو بالتقريب واقدم ما عُرف عندهم من هذه الذرائع انهم كانوا يوقدون قُضُباً من الصندل يقدَّر الوقت بمدة اشتعالها . ثم اتخذوا الساعات المائية أو البنكامات التي تعيّن اقدار الوقت بقطَران الماء وعندهم الى اليوم في كنتون ساعة بلدية من هذا النوع يقصدها الدخلاء والسياح . ولا يزال عند الخاصة واهل الثروة امثلةٌ منها الا

انها ليست بالكثرة التي كانت عليها من قبل على ان كل عنايتهم في هذه الساعات بالزخرفة الظاهرية وجمال المنظر دون الدقة في تقسيم الزمن . واما المزاول اي الساعات الشمسية فيُرَى كثيرٌ منها مرسوماً على سفنهم فلا يبعد انهم كانوا يعرفونها من زمنٍ قديم لانها ليست من الاختراعات البعيدة على فكر الانسان والله اعلم

الشمع

وقفت على الفصل الآتي في احدى المجلات الفرنسوية فرأيت ان اعرّبهُ ملخصاً لما فيهِ من الفائدة قالت

اول ما استُعمل من انواع الشموع المشاعل الراتنجية وهي لا توجد اليوم الا في بعض القرى المنحطّة ويستعملها في باريز اصحاب المطافئ في اوان الحريق . ومع ان بلينوس وصف كيفية تبييض شمع العسل من زمن طويل مما يدل على انهُ كان معروفاً في ذلك العهد فان استخدامهُ في الاستصباح لا يرتقي الى ما ورآء القرن الرابع للميلاد وذلك لغلآء ثمنهِ بحيث لم يكن يحتمل ان ينتشر استعمالهُ بين الجمهور

اما الشمع الشحمي فأول ما ظهر في القرن الثاني عشر للميلاد وكان عند ظهورهِ محلاً للعجب والاستغراب لكنهُ انحطّ اليوم عما كان عليهِ . ثم ظهر في اوائل القرن الثامن عشر الشمع المأخوذ من المادّة المسمّاة بأبيض البال وهو مادة تستخرج من احد ذوات الثديّ البحرية المسمى بالكَشَلُوت وهو شبيه البال الا ان هذه المادة لما كانت صعبة الاستخراج لزم ان تكون

غالية الثمن ايضاً ولذلك لم ينتشر استعمالها كثيراً . وفي اوائل القرن التاسع عشر اخذ اهل العلم يبحثون في انواع الاجسام الدهنية فتوصلوا الى اكتشاف مواد كثيرة منها سائلة ومنها جامدة اشهرها المادة المعروفة بالاستيارين وهي الغالبة اليوم في صنعة الشمع

ولا يخفى ان اللهب انما هو نتيجة اشتعال شيء من الغازات فاذا اتقدت الشمعة ذابت المواد الدهنية أو غيرها ثم انتقلت بواسطة الفتيلة الى جوف اللهب وتحولت هناك الى غاز تحولاً متواصلاً . وتختلف قوة الضوء الصادر عن الشمعة تبعاً لاختلاف مقدار الهوآء الواصل اليها وعظم الفتيلة وطبيعتها فاذا كانت الفتيلة كبيرة جدًّا فانها تمتصّ المادة الذائبة بسرعة عظيمة وتكون قوة النور في غاية الشدة واستمداده للمواد الذائبة غير معتدل . واذا كانت الفتيلة صغيرة جدًّا كان الامر على العكس فيتكون حول الشمعة جدارٌ لا تصل اليهِ الحرارة الكافية لاذابتهِ فيصير اشبه بحوض للمادة السائلة يمتلئ منها اخيراً ثم يفيض فيسيل حول الشمعة . فيُرى مما تقدم ان حجم الشمعة وكبر الفتيلة ومقدار الهوآء ينبغي ان يكون كل ذلك على نسبة واحدة ليبقى التوازن دائماً بين المقدار الذائب من المادة الدهنية والمقدار الذي يحلهُ اللهب . ولا بد مع ذلك ان تعتبر نقاوة الهوآء لانهُ كما ان الانسان يحتاج الى هوآء نقي ليعيش كذلك الشمعة تحتاج الى هوآء نقي ليكون نورها صالحًا ولذلك يلاحظ في الليالي الطويلة ان نور الشمع يضعف كلما قل الاكسيجين وكثر الحامض الكربونيك

ويمكن ان يميَّز في لهب الشمع اربع طبقات وهي اولاً النواة المظلمة

وهي مكونة من الغاز الصادر عن المواد المشتعلة . ثانياً الطبقة الزرقآء وهي محيطة بالاولى مما يلي قاعدة اللهب وحرارتها ضعيفة لبعدها عن محور اللهب الذي اليهِ يتجه معظم الهوآء . ثالثاً الغلاف المنير أو لسان اللهب وهو يخرج من بين الطبقتين المذكورتين مرتفعاً الى الاعلى على هيئة لسان نيّر . رابعاً الغشآء الخارجي المحيط باللسان وهو ضعيف النور جدًّا لان الاجزآء الواصلة اليهِ غير تامة التأكسد فيحترق منها في الهوآء كميات كبيرة

اما صنع الفتيلة فقد كان الشغل الشاغل للعمال لانها يجب ان تكون في محور اللهب والا بقيت اطول مما ينبغي وانبعث عنها دخان يظلم بهِ نور الشمعة واذا كان طرفها في المحور تماماً لا يصل اليهِ الهوآء فيتفحم ويتكوّن في اعلاهُ طرّة منتفشة تنقلب على الفتيلة فيسيل الشمع من حواليها ويظلم نور اللهب وحينئذٍ يلزم ان تقرَّط كما يصنع بالشمع الشحمي

وقد حاولوا اصلاح ذلك بطرق مختلفة منها ان تستعمل الفتائل مفلطحة أو مستديرة ويكون نسيجها متفاوتاً بحيث انها تلتوي عند الاحتراق حتى تخرج عن اللهب فتستمدّ اكسيجين الهوآء . ومنها ان تكون جوفآء ولها الخاصية نفسها لكن وُجد بهذه الطريقة انهُ يتكون منها رماد يسد مسامّ الفتيلة ويضعف النور . وقد ارتأى دُميلي لاصلاح هذه الآفة الاخيرة ان تغمس الفتيلة في الحامض البوريك فانهُ باتحادهِ مع الرماد يولّد جسماً قابلاً للذوبان يتساقط على شكل نقط من طرف الفتيلة

اما صنع الشمع فيتم بالسكب في القوالب وهي تصنع من خليط يركب من ٢٠ جزءًا من القصدير و١٠ من الرصاص وتُصقل من الداخل صقلاً بالغاً .

وعند ارادة السكب توضع الفتيلة في المحور وتثبَّت من الاسفل بثقب دقيق ومن الاعلى بقمع موضوع على الطرف الاعلى من القالب . وتستعمل الآن آلات تكون الفتائل فيها ملفوفة على بكرات وعند اللزوم تحلّ من نفسها عن البكر وتثبَّت في القوالب وتجري المادّة الشمعية في قناةٍ مخصوصة بعد ان تسخَّن القوالب بوسائط معدَّة لذلك ثم تبرَّد بعد السكب ويُخرَج الشمع من القوالب ويُقَصّ ويُصقَل وكل ذلك بآلات تعمل من تلقآء نفسها واخيراً يبيَّض بتعريضه للهوآء

ومن الشمع ما يسكب مجوَّفاً اي يُثقَب ثلاثة ثقوب من الاعلى الى الاسفل وفائدة ذلك ان لا يسيل عند الاشتعال . وهو يصنع بواسطة آلة مخصوصة تحتوي قوالبها على ثلاثة اسلاك مصمتة تسحب قبل تمام تجمد المادة

اما الشمع العسلي فقلما يُسكب في القوالب ولكنهُ على الغالب يصنع سكباً من الخارج كما يصنع الشمع الشحمي وذلك بأن تغمس الفتيلة اولاً في المادة الذائبة ثم تعلق ويصب عليها الشمع شيئاً فشيئاً أو تغمس فيهِ غمساً متتابعاً الى ان تبلغ الحجم المراد ولاجل اكسابها الشكل المستدير وصقلها تُدحرَج على صفحة من الرخام أو من الخشب

اما شمع الفتائل وهو الذي يتخذ منهُ الثقاب ونحوهُ فيُصنع بأن تُلفّ الفتيلة على اسطوانة ثم تغمس في الشمع الذائب وبعد اخراجها تُدخل في ثقوب مختلفة الاتساع وتسحب منها الى ان تبلغ القطر المطلوب . واذا اريد ان يؤخذ منها الثقاب قُطّعت على الطول المراد ثم غمس احد طرفيها في مادة قابلة الالتهاب على حدّ ما يصنع الثقاب الخشبي فريد البرباري

الغابات المتحجرة

هي غاباتٌ في اميركا من بقايا العصور الخالية اشهرها غابتان عظيمتان احداهما في اريزونا من اراضي الولايات المتحدة والاخرى على مسافةٍ قريبة من منابع مِسُّوري احد كبار انهرها وكلتاهما منتشرة على مساحةٍ واسعة من الارض لا يقطعها الراكب المُجِدّ في اقلّ من يومٍ كامل

وقد كانت هذه الغابات في الزمن القديم تتألف من شجرٍ كبار من نوع الشجر العاديّ الموجود اليوم في كاليفرنيا وكان طول الواحدة منها يبلغ ما بين ٥٠ و ٦٠ متراً ومحيطها من ٦ الى ١٠ امتار بحيث يقدَّر ان عمر بعضها لم يكن اقلّ من الف سنة . ومع انها اليوم قد تكسرت ولم يبقَ شيء منها قائماً فان حجمها لا يزال عظيماً حتى ان شجرةً منها في اريزونا قد سقطت على فوَّهة وادٍ فكانت جسراً طبيعياً ممتدًّا من احدى عُدوتيهِ الى الاخرى يبلغ طولهُ ٣٤ متراً

وكان سقوط هذه الاشجار بانقلابٍ طبيعي من حوادث الايام الاولى ثم جرتها المياه الى حيث استقرّت تحتها فلبثت غائصةً فيها مئاتٍ من القرون مدفونةً في الرمل والطفال . ولما بدأت تتعفن اخذ ما في تلك المياه من السُحالة الصوّانية يرسب في مكان الاجزآء المنحلّة منها الى ان ذهبت عناصرها جملةً واستوى مكانها الراسب الصوّاني فتبدّل خشبها حجراً من غير ان يتبدّل شكلها . ثم انهُ بعد ما شاء الله من الزمن ارتفع قعر البحر بحادثٍ من نوع الحادث الاول فظهر في مكانهِ صحارى وجبال وظهرت تلك الاشجار على

الحالة التي تُرَى عليها اليوم وما ذكر هو السبب في ان اكثر هذه الاشجار تُرَى مكسرةً مضجعةً على الارض . على انهُ عند ما ارتفع دَرَك البحر جاء بعضها منتصباً على نحو الهيئة التي كان عليها في عهدهِ الاول فكان لهُ منظرٌ غريب بين الاشجار النابتة حولهُ تكتنفهُ باغصانها واوراقها الخضراء

وما زالت هذه الاشجار المتحجرة منذ ظهر الانسان على وجه الارض عُرضةً لعيثهِ فان سكان اميركا في الزمن السابق للتاريخ كانوا يقطعون منها قِطعاً ضخمة يبنون بها مساكنهم ولا يزال بعض هذه الابنية الغريبة باقياً الى اليوم . وكذا في الازمنة المتأخرة فان السيّاح والمولعين بعلم المعادن ما زالوا يكسرون منها نموذجاتٍ ويحتملون منها قِطعاً ثم زاد على ذلك انهُ في اثناء القرن التاسع عشر تألفت شركة صناعية لنقل الغابات المتحجرة فحملوا منها مقادير عظيمة من القِطَع البالغة في الجمال والرونق ليستخدموها مكان الرخام في صنع بعض انواع الاثاث الفاخر . ومنهم من كان يسحنها ويتخذ منها السنباذج الا ان هذا لم يَطُل كثيراً لانهم وُفقّوا الى صنع السنباذج على طريقةٍ اسهل وارخص فعدلوا عن نقلها لهذه الغاية

على ان الحكومة الاميركانية قد تنبهت لهذا الامر فأعلنت ان هذه الغابات ملكٌ مشاعٌ للأُمّة وقضت على كل من يُقدم على تخريب شيء منها بغرامة ٢٥ الف فرنك وسجن سنة وبهذه الذريعة امكن ان تكفّ عنها يد الانسان لتبقى مدةً اخرى من الدهر مصونةً من عيث العائثين

مقياس المطر في الشجر

من غريب ما توصلوا اليهِ في مراقباتهم العلمية ما ذكرهُ المسيو فيلكس ساهوت احد اعضآء جمعية الزراعة الفرنسوية في بعض مباحثهِ في مُنْبِلْيَاي فانهُ راقب نموّ شجر الصنوبر الكرسكي والشربين السفالوني فتبين لهُ ان الاول اسرع نموًّا وانهُ يزداد في كل سنةٍ انبوبًا يخرج في الربيع ويختلف طولهُ تبعاً لمقدار المطر في زمنٍ معلوم من السنة

وقد قاس زيادة طول هذين الشجرين على مدة ست وعشرين سنة اي من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٩٣ فكانت زيادة الصنوبر بين ٥٢ و١٢ سنتيمتراً وزيادة الشربين بين ٢٩ سنتيمتراً و٤ سنتيمترات

وفي هذه المدة قيّد مقدار المطر الذي نزل في شهرٍ فشهر فوجد ان معظم النموّ في كلٍّ من الشجرين المذكورين متوقفٌ على مطر ابريل وما يقع من المطر بعد ذلك في شهر مايو وما يليهِ مدة الصيف ليس لهُ اثرٌ يُعتدّ بهِ وبخلاف ذلك مطر الخريف الا ان معظم فائدتهِ في نموّ الجذور واما مطر الشتآء فمنفعتهُ ان يحفظ على الارض رطوبتها في اشهر الربيع وبعض اشهر الصيف . ثم انهُ بالمقابلة بين مجموع المطر الذي سقط في كل واحدة من تلك السنين في مدة اشهر الشتآء والربيع أي من شهر اكتوبر الى ابريل ومقدار النموّ الذي حصل في كلٍّ منها امكنهُ ان يتخذ قياساً يُعرَف بهِ مقدار النموّ السنوي . وذلك انهُ قدّر لشهر اكتوبر عدد ٦ ولنوفمبر ٧ ولدسمبر ٨ وليناير ٩ ولكلٍّ من فبراير ومارس ١٠ ولابريل ٩ . قال وبضرب كل واحدٍ

من هذه الاعداد في مقدار المطر النازل في ذلك الشهر أخذاً عن مقياس المطر وجمع الحواصل السبعة يُعرَف مقدار ماحصل من النموّ بمقابلة بعض المجموع على بعض . وعلى هذا فانهُ يسهل ان يُعرَف من فحص الصنوبرة او الشربينة ما مرّ بها من السنين الماطرة او القاحلة بمعنى ان السنين الماطرة تكون فيها الانابيب طويلة وبعكسها السنون الماحلة و بذلك يُعرَف مقدار المطر في كل واحدةٍ من السنين الماضية بالمقابلة بين طول الانابيب والله اعلم

النحل والامير الصغير

من امثال فنلون تعريب حضرة الاب الفاضل الخوري جرجس شلحت بحلب

حينَ سرى رَوْحُ الصَبا فأحيا　　طبيعةً مبهجةً للأَحيا
واذ دنت منها عيون الشمسِ　　فانعشت رُفاتها من رمسِ
وعند ما حاكَ لها انوارَها　　لُعابُها حتى حكت انوارَها
كانَ اميرٌ من صغار السنّ　　في روضةٍ تحكي جمالَ عدْنِ
يمشي رويداً ههنا وهنَّهْ　　كانهُ آدمُ تلك الجَنَّهْ

***

فمرَّ في مسيرهِ بنحلِ　　منتشرٍ يقطمُ زهر الحقلِ
ثم رأى لهُ خلايا يرجعُ　　دوماً اليها بدَويٍ يُسمعُ
كانَ لهُ مشهدها جديدا　　فظلَّ يعدو جارياً شديدا
حتى دنا منها وقد قضى العجَبْ　　مما رأى فسُرِّيَت عنهُ الكُرَبْ

شبام نظاماً يبهرُ البصيرهْ يضمُّ ذي المملكة الصغيرهْ
رأى نخاريب الخلايا تمتلي شيئاً فشيئاً من شهيّ العسَلِ
والنحلُ دائبٌ يجُدُّ العملا فليس يدري كسلاً او مللا
هذا على الزهر يطوف مُدمنِا وذا يمجُّ ما بفيهِ قد جنى
حركةٌ دوماً بلا تباطي وغيرِ ما هرجٍ ولا اختلاطِ
جماعةٌ اشبهُ بالرعيَّةْ تحكمها ملكةٌ سنيَّةْ
لا حسدٌ ما بينها ولا طَمَعْ وهل يروم رِفعةً من اتَّضَعْ
في سنَنِ السنَّةَ كلٌّ سالكةْ وان عصت واحدةٌ فهالكهْ

***

فبينما كان الأمير يعجبُ بما رأى ويلتهي ويطربُ
اذ أقبلت اليهِ في تبخترِ مليكةُ الخشرم ذاتُ الخطرِ
قالت لهُ لا تجتزئْ بالعجبِ عن اقتباس حكمةٍ او ادبِ
إنّا لقد رُضنا الجميعَ رَوْضا فما لدينا ما يسمَّى فَوْضَى
وما سوَى العامل فينا مُعتبَرْ والحاذقِ الذي بخُبرهِ اشتهرْ
ولا يفوز بالعُلى والرُّتَبِ الا من استحقَّها بالنصَبِ
وليس من دأبٍ لنا سوى السهَرْ سعياً وراءَ ما بهِ نفع البشَرْ
يا حبذا لو ابتغيتَ الِاقتدا بنا فكنتَ بالنفوس تُقتدَى
اذا بلغتَ زمنَ الرشادِ وصرتَ مالكاً على العبادِ
ألا فوطِّدْ بينهم اذ ذاكا نظامنا هذا الذي ارضاكا
تَسعَدْ بهِ ويسعدوا مدى الزمَنْ وتحظَ بالإجلال والذكر الحَسَنْ

وتحتفلْ لك الرعايا بالدعا بالعمرِ والصولة والعزِّ معا
ويُنشِدِ المنشدُ في ناديها سُلِّمَتِ القوسُ الى باريها

متفرقات

حياة السفن — يقول بانو السفن ان السفينة على العموم قلما تجاوز حياتها ١٢٠ سنة لكن هذه القاعدة كثيراً ما يقع فيها شذوذ فان كثيراً من السفن لا يبلغ هذه المدة لكثرة الاستعمال او لحادث ولكن منها ايضاً ما يتعدّى المدة المذكورة . وأقدم سفينةٍ في العالم اليوم هي سفينة نلسون في ترافلغار المسماة فكتوري وكان بناء هذه السفينة سنة ١٧٦٥ فعمرها الآن ١٣٧ سنة الا انها لا يُحتفَظ بها اليوم في بُورتسمُوث الا بمنزلة اثرٍ قديم . ومثلها سفينةٌ أخرى كانت تُستخدَم في صيد الحيتان تسمى ترُولَف فانها لم تخرب الا بعد ان عاشت ١٥٩ سنة في عملٍ مستمرّ . وهي سفينة ذات ثلاثة اشرعة صنِعت في فيلادلفيا سنة ١٧٤٧ وكانت بعد ان اتى عليها ٩٩ سنة لا تزال تصادم الجمد في النواحي القطبية . ويوجد الآن ٣٤ سفينة انكليزية تجاوز المئة سنة و١٣ تجاوز الخامسة والستين وما سوى هذه فان جميع السفن البخارية التي بنيت بين سنتي ١٨١٥ و ١٨٣٠ لم يبقَ منها شيء

قال الحجاج لابن القِرّية ما البلاغة فقال ان تتكلم فلا تخطئ وتجيب فلا تبطئ

فوائد

منع عرق اليدين — ذكرت احدى المجلات الصحية صفةً لمنع عرق اليدين هي في منتهى السهولة ولا تقتضي نفقةً تذكر. وهي ان تؤخذ قطعةٌ من الشب بقدر الجوزة تكون ذات حروف نائئة وتُفرَك في اليد مرتين او ثلاثاً في اليوم تبعاً لكثرة العرق وقلتهِ كما يقلّب لوح الصابون فلا يلبث العرق ان ينقطع او يقلّ ثم لا يعاد استعمالها الا عند ما يعود العرق . ويحسن ان تُغسل اليدان بالصابون قبل استعمال الشبّ ليسهل تشرُّب البشرة لهُ ولكن لا بد اذ ذاك من غسل اليدين بالمآء بعد الصابون لان الشب يحلّ تركيب الصابون ويفرز ما فيهِ من الزيت فينشأ هناك مادّةٌ دهنية لا يحلها المآء وتلتصق التصاقاً شديداً باليد او بالاناء الذي يكون فيهِ مآء الصابون

ويمكن استعمال هذه الواسطة لسائر اجزآء الجسم لكن استعمالها كذلك لا يخلو من خطر لان قطع العرق عن الجسم برمتهِ يفضي الى احتباس المفرزات في نسيج البنية وبقآء هذه المفرزات في الجسم يتسمم الدم فلا بد ان يُترَك لها السبيل للخروج منهُ

اسئلة واجوبتها

القاهرة — ارجو الجواب على السؤالين الآتيين

(١) في اي سنةٍ اختُرِعت الدُرّاجة (البيسكل) ومن اول من

توصل الى اختراعها

(٢) يقال ان الارض والقمر كانا متصلين في قديم الزمان ثم انفصلا لاسبابٍ طبيعية فما قولكم في ذلك رشدي كمال

الجواب — اما اختراع الدرّاجة فيقال انهُ يرتقي الى اواخر القرن الثامن عشر وذُكر ان في المكتبة الوطنية بباريز صورةً مطبوعة تمثل اناساً يتنزهون على آلاتٍ من هذا النوع . الا انها كانت على شكلٍ لا يسهل معهُ استعمالها لثقلها وسوء صنعتها ولذلك لبثت مهملةً الى اواخر القرن الماضي اي الى نحو سنة ١٨٧٠ فعادوا الى اتقانها . واول آلةٍ ظهرت منها كانت من صنع رجلٍ يقال لهُ ميشُو وكانت مؤلفةً من عَجلتين من خشب على شكل عَجَل العربات قُطر الواحدة منهما متر تدوران في سطحٍ واحد احداهما امام الاخرى . ويجمع بين العَجلتين نابض (زنبلك) عليهِ صهوة الدرّاجة اي الموضع الذي يستوي عليهِ الراكب وسائر تركيبها قريبٌ من الدراجات المعروفة اليوم ومن ذلك الحين اخذوا في تكميلها وتسهيل الجري بها الى ان بلغت ما هي عليهِ في العهد الحاضر

واما مسئلة الارض والقمر فقد سبق لنا فيها كلامٌ وافٍ في اوائل هذه السنة تحت عنوان تكوُّن العالم الشمسي (صفحة ١٦١ و ١٩٣ وما يليهما) فراجعوهُ ان احببتم

القاهرة — اطلعت في الجزء السابع عشر من الضياء على الرواية المعنونة بشرلمان تعريب حضرة الاديب نسيب افندي المشلاني فوجدت

فيها اشيآء مخالفة للتاريخ مثل قولهِ ان بيبين ملك مكان كلوتير والمعروف انهُ ملك مكان شلدريك الثالث ومثل قولهِ ان بيبين كان لهُ وزير يسمى كارين ولا ذكر لهذا الوزير في التاريخ ومثل ذلك الحرب التي ذكر انها نشبت بين بيبين وكلوتير فان التاريخ خالٍ عنها ايضاً وكذلك وجدت بعض زيادات وحواشٍ لا وجود لها في التاريخ ولا يخفى على حضرتكم ما في ذلك من العبث بصحة الانبآء التاريخية الا اذا كان المؤرخون على خلاف في هذه الحوادث وهو ما لا اظنهُ فأرجو الجواب على ذلك ولكم الفضل

نقولا نصر

الجواب — قد أطلعنا حضرة المعرّب على اعتراضكم فقال ان الرواية كما تعلمون ليست من وضعهِ وانما هي ملخصة عن روايةٍ قرأها بالانكليزية منقولة عن اصلٍ فرنسويّ تأليف اسكندر دوماس الشهير تحت عنوان بيبين والرواية مشهورة متداوَلة فان كان ثمت اعتراضٌ فهو على المؤلف لا على المعرّب . على ان ما ذُكر من الزيادات والحواشي مثل حديث كارين وحرب بيبين وكلوتير هو من لوازم الروايات لانها موضوعة على الخيال كما هو معلوم وقد تساهلوا في هذه الزيادات تزييناً للحديث وتكملةً لموضوع القَصَص ولو التزُمت الحقائق التاريخية مجردةً لكان من حقها ان تسمى تاريخاً لا روايةً وحسبكم في ذلك ان تراجعوا ما شئتم من الروايات التاريخية فانكم لا تكادون تجدون واحدةً منها تخلو عن مثل ما ذُكر وبهذا القدر كفاية تغني عن المزيد

آثار ادبيّة

العذارى المائسات في الأزجال والموشحات — اهديت لنا نسخةٌ من هذا الكتاب الانيق جمع حضرة الفاضل الشيخ فيليب الخازن صاحب امتياز جريدة الارز الغرّاء انتقاهُ من سفرٍ قديم عثر عليهِ في بعض المكاتب الشرقية في رومية فنقل عنهُ من بدائع الموشحات الاندلسية وغيرها ما يعزّ الوقوف عليهِ لندرة نُسَخهِ في هذه البلاد

وقد تصفحنا الجانب الأكبر منهُ فوجدناهُ حسن الترتيب والطبع جامعاً لكل نادرٍ مستحسن مما دلّ على فضل عناية الجامع ولطف ذوقهِ في الاختيار . غير انا وفاءً بحقّ النقد نستأذن حضرتهُ في التنبيه الى امرين احدهما انهُ ذكر في عنوان الكتاب انهُ في الازجال والموشحات مع انهُ عرّف الزجل في مقدّمتهِ نقلاً عن ابن خلدون انهُ ما كان باللغة العامية بخلاف الموشح فانهُ يكون باللغة الفصحى وهذا هو الفرق بينهما ولكنا عند تصفح الكتاب وجدنا كل ما فيهِ من الفصيح فهو من الموشح فقط . والامر الثاني انهُ لا يخلو من تحريف كلماتٍ وتبديل اخرى مما لا نشك انهُ كان في نسخة الاصل التي اخذ عنها على ان هذا مع ظهور العذر فيهِ قليلٌ في الكتاب لا يكاد يضيع بهِ شيءٌ من محاسنهِ

فنحن نثني على همة رصيفنا الفاضل لما اطرف بهِ القرآء من هذه التحفة النفيسة ونحث الادباء والشعرآء على اقتناء هذا الكتاب والتفكه بما اشتمل عليهِ من اللطائف وهو يُطلَب من جامعهِ وثمنهُ ثلاثة فرنكات

فكاهات

النعجة الضالة [1]

كان في احدى مدارس البنات العليا في بطرسبرج فتاة في السادسة عشرة من العمر زيّنها المولى باجمل صورةٍ واحسن قدّ فضلاً عن الذكآء وتوقد الخاطر يقال لها ليديا . وهي ابنة قوم متوسطي الحال ادخلها اهلها تلك المدرسة لتلتقط من درر العلوم وجواهر الآداب ما تتحلى بهِ في مستقبل ايامها . وكانت هذه الفتاة آية في النشاط والاجتهاد فأحرزت في مدةٍ قصيرة حظًّا صالحًا من العلم ونشأت على الآداب الحسنة والخلال الحميدة مما حببها الى جميع رفيقاتها الطالبات

واتفق في احد الايام وقد انتظمت التلميذات صفوفًا ليسرنَ الى غرفة المائدة ان مديرة الدروس ويقال لها المعلمة رابين اجالت نظرها في هذا الحشد وقالت لا يخفى عليكنّ ايتها التلميذات العزيزات انكنّ حينما غادرتنّ منازلكنّ وذويكنّ واويتنّ الى هذه المدرسة اصبحتنّ تحت مراقبة المعلمات واصبحت المعلمات مسؤولاتٍ عنكنّ في جميع احوالكنّ وشؤونكنّ وصار من الواجب ان يُلقى عليكنّ في بعض الاحيان من المواعظ والارشادات ما يسدّد خطواتكنّ الى اقوم السبل وينكّب بكنّ عن طرق الغيّ . وكنت الى هذا الحين اعتقد فيكنّ طهارة السيرة ونقاوة السريرة بيدَ ان حادثةً اليوم كشفت لي ما لم يكن في الحسبان واوضحت لي ان بينكنّ « نعجةً ضالّة »

فدهشت التلميذات عند سماعهنّ هذا الخطاب ونظرنَ بعضهنّ الى بعض نظرة تعجب وحيرة . اما المعلمة فسرّت لما رأت لكلماتها من التأثير في اولئك الطالبات وما ابطأت ان قالت فلقد تحققت اليوم ان واحدةً منكنّ قد استسلمت

---

(١) ملخصة عن الروسية بقلم خليل افندي بيدس

لعوامل الحب وان لها خطيباً يراسلها ... وبعد ان تنفست الصعدآء عادت الى حديثها فقالت واني كنت اودّ ان اكتم عنكنّ اسم هذه الفتاة لولا انها بارتباكها وحمرة الخجل البادية على وجنتيها تدلّ على نفسها باوضح بيان . أجل ايتها الحبيبات فانظرنَ كلكنّ الى « ليديا انتسيڤا » تحققنَ صدق مقالي

فلما سمعت ليديا ذلك وقع عليها وقوع الصاعقة ولم تلبث ان صبغ الدم وجنتيها وسقطت الدموع الغزيرة من مقلتيها واطرقت مرتعدة خائفة . اما رفيقاتها فدهشنَ لعلمهنّ بأن ليديا هي بينهنّ آية العفاف والطهر ومثال الادب والرصانة غير انهنّ اخلدنَ الى السكون استماعاً لتتمة الحديث . واما المعلمة فكانها ابتهجت لمرأى دموع ليديا فهزّت رأسها وقالت والكبر يرنّح معطفيها ودونكنّ الآن هذه الرسالة اللطيفة التي اماطت لي اللثام عن هذا السرّ قالت هذا واخرجت من جيبها رقعةً مطويّةً نشرتها بخيلآء وأرتها للتلميذات وهي تتبسم باستهزآء . ولم تكن ليديا تنتظر مثل هذه القساوة والغلظة فزاد كربها واشتدّت آلام نفسها وهمّت ان تهجم على المعلمة وتختطف الرسالة من يدها ولكن منعها احترامها لمقام المعلمة فلزمت الصمت والسكون وكأن ذلك زاد في هيجان المعلمة فقرأت بصوتٍ جهور ما يأتي

« ايها الملك الطاهر

لقد انقضى اسبوعان كاملان ولم احظَ برؤيتكِ لان جدران المدرسة قد حجبتكِ عني ولكن ثقي ايتها الحبيبة اللطيفة ان صورتكِ لا تبرح نصب عينيّ ليلاً نهارًا وقد اعياني احتمال هذا الفراق الاليم لانكِ في تلك المدة القصيرة قد سلبتِ رشدي وخلبتِ فؤادي . ولذلك فاني قد عزمت على ان اسعى في هذا المسآء لزيارة رئيسة المدرسة رغبةً في مشاهدتكِ فلا تنزعجي ولا تسؤكِ مخالفتي لأمركِ في شأن المكاتبة لانكِ رغبتِ اليّ ان لا اراسلكِ ما دمتِ في المدرسة حذرًا من وقوع رسائلنا في يدٍ اثيمة وما يعقب ذلك من القيل والقال غير اني لشدة شوقي اليكِ ورغبتي في اطلاعكِ على عزمي بادرتُ الى الكتابة راجياً ان اشاهدكِ يا فاتنتي واتزوّد منكِ نظرةً اقوى بها على احتمال الم الفراق وثقي انهُ مهما طرأ عليّ من

الاحوال فانا لكِ المحب المخلص ايقان رتيشف »

وفي اثنآء قرآءة هذه الرسالة كان بعض التلميذات قد استأنَ من صنيع المعلمة وهممنَ ان يعترضنها ويوضحنَ لها ان ذلك مخالف لحرمة الادب والحشمة وانها وان تكن معلمة فلا حق لها بوجهٍ من الوجوه ان تشهر هذا الامر بهذه الطريقة الخشنة غير انهنّ توقفنَ عن عزمهنّ بقصد اقامة الحجة عليها في وقتٍ آخر وشكايتها الى الرئيسة . اما ليديا فاخلدت الى السكون وان كانت في احرّ من الآتون وما فرغت السيدة رابين من تلاوة الرسالة حتى خفّ اضطراب ليديا وسكن بلبالها بعض الشيء لعلمها اليقين بأن حبيبها لم يكن من الناس الذين يستحيا بمودتهم او يُهزأ بهم لانهُ كان استاذًا شهيرًا في العاصمة تبتغي كل فتاةٍ رضاهُ وترتجي ودّهُ . ولقد كانت لشدة حبها لهُ يهون عليها ان يُقطع حبل حياتها ولا تسمع في حقهِ كلمة تحطّ من شأنهِ وكرامتهِ فكيف وقد رأت بغتةً يدًا جائرةً قد جرحت قلبها ولمست محبوبها واهانتها اهانةً لا تقدر ان تصفح عنها . غير انها رأت ان الملاينة في مثل هذا الموقف افضل ما يتدرّع بهِ المرء ضدّ خصمهِ فلم تفه بكلمة . اما المعلمة رابين فلما رأت ما تلألأ في محيا ليديا الوسيم من امائر الطمأنينة والدعة حسبت ذلك عدم اكتراثٍ بها واحتقارًا لكلامها فهاج غيظها وتفاقم حنقها و بغضها وصاحت بها اني لا اجد كلماتٍ تقوم بتعنيفك الشديد على هذا السلوك القبيح لانكِ بدلاً من ان تشتغلي بواجباتكِ المدرسية وتقبلي على دروسكِ صرفتِ اهتمامكِ الى امورٍ اخرى لا تجديكِ الاّ المضرّة والعار فبئس المصير مصيركِ . اما انا فسأذكر كل ذلك لحضرة الرئيسة وهي ادرى بامر عقابكِ . والآن لا تنطلقين مع التلميذات بل تبقين وحدكِ في غرفة التدريس الى ان ادعوكِ او تدعوكِ الرئيسة . قالت المعلمة هذا وقادت صفوف الطالبات الى غرفة المائدة . اما ليديا فلم تكد تُغلق عليها ابواب الغرفة حتى تحدّرت الدموع السخينة على خديها تحدُّر الطلّ على الزهر وكادت تعتقد ان عملها انما هو ذنبٌ عظيم لا يُغتفر وخافت المثول امام الرئيسة لانها تحبها حبًا مفرطًا وتعتبرها بمقام الوالدة الرؤوم . ثم تصوّرت امامها المعلمة رابين

توسعها ثلباً واهانةً كانها تضمر لها شرًّا فحارت المسكينة في امرها ولم تعلم كيف تؤوّل هذا النفور الشديد وهذه المعاملة القاسية التي تنفر منها الضواري مع انها لم تقابلها قط الاّ بمزيد الاحترام والدعة والخضوع فما الذي الجأها الى مثل هذه الشراسة ام بلغ منها الحسد والغيرة ان صارت تعتبر الحب عارًا والزواج سُبَّةً وهو سنة الله في خلقهِ

وبينا ليديا في مثل هذه التصوُّرات فُتح الباب ودخلت احدى خادمات المدرسة وقالت حضرة الرئيسة تطلبكِ اليها . فتنهدت ليديا وانطلقت الى غرفة الرئيسة ولما دخلت حيَّت بارقّ العبارات ووقفت بكامل الاحتشام والوقار . اما الرئيسةّ فنظرت اليها بعينين ملؤهما وداعة ومحبة وقالت لها أنتِ تعلمين يا ولدي شدة محبتي لكِ واعتنآئي بكِ فلم يكن ينبغي ان تقابليني بغير الاخلاص والصدق وان تخفي عني امورًا كان الاولى بكِ ان تطلعيني عليها من قبل لاني لكِ بمقام الوالدة الشفيقة . فلقد كانت عندي الآن المعلمة رابين وانبأتني بخبرٍ غريب كنت اودّ ان لا اسمعهُ عنكِ بهذه الكيفية وهو انكِ عاشقة وانكِ تراسلين حبيبكِ وهو يراسلكِ سرًّا وانكِ عازمةٌ على الاقتران بهِ دون ان تستشيريني مع اني اعتقد فيكِ اخلاص الطوية وشرف الخلال . والآن فاني ارغب اليكِ يا ولدي ان تطلعيني على جلية الخبر وتوضحي لي كيف عرفتِ هذا الرجل ومن اي اسرةٍ هو وهل تستريحين معهُ اذا اقترنتِ بهِ . ذلك لانكِ فتاةٌ في اوائل العمر وامامكِ حياةٌ باسمة ومستقبل سعيد فليس من الحكمة ان تجري شيئاً من هذا القبيل دون تثبت وتدبر وها اني كلي آذان واعية فتكلمي ولا تخافي

اما ليديا فعلت وجهها حمرة الخجل وتوقفت اولاً عن الجواب ولكنها رأت من حديث الرئيسة وهيئتها ولطفها ما سكن روعها وشجعها فقبلت يدها وقصت عليها الحديث الآتي قالت . لما كانت ايام العطلة المدرسية الاخيرة دعتني عمتي الى منزلها فلبيتُ الدعوة شاكرةً وانطلقتُ اليها فرحةً محبورة لعلمي بشدة محبتها لي وارتياحي الى معاشرتها . وكانت عمتي تحب اهل العلم والمتأدبين وتبالغ في اكرامهم فكان

يتقاطر الى منزلها من حين الى آخر اناسٌ منهم فتسرّ بمحادثتهم وسماع الفاظهم . وكان من جملة المتردّدين على منزلها احد الاساتذة المشهورين في العاصمة وهو رجل يناهز الاربعين من العمر وان هذا الرجل رآني في منزل عمتي فارتاح الى التقرب مني ومال اليَّ كما ملت اليهِ ولو كان بمقام والدي .. ومهما ذكرتُ لكِ يا سيدتي الرئيسة عن صفاتهِ فلا اظنني وافيةً بما فُطر عليهِ من عزة النفس وحسن السيرة وجميل الخصال . وكانت نتيجة اجتماعاتنا هناك انهُ فاتحني بنية الاقتران بي ولما وثق بموافقتي ارسل فأعلم اهلي بذلك وخطبني اليهم فلم يعارض احدٌ منهم بشيء . اما انا فوهبتهُ ارادتي ووعدتهُ ان لا اميل الى سواهُ واني سأحافظ على محبتهِ وولائهِ ووعدني هو ان ينتظرني الى نهاية هذه السنة حينما تنتهي مدتي القانونية في المدرسة وخطيبي هذا هو من اسرةٍ كريمةٍ تُعرَف باسرة « رتيشف » واسمهُ « ايفان »

وما كادت الفتاة تذكر هذا الاسم حتى ارتجفت الرئيسة وصبغ الاصفرار وجهها وشعرت ان الارض تغور تحت قدميها .. ثم انتفضت فجأةً وقالت بصوتٍ ابحّ مخاطبةً نفسها لا يمكن ان يكون هذا ... ولم تلبث ان وثبت مذعورةً فتناولت الرسالة وكانت المعلمة رابين قد تركتها في غرفتها على المائدة فأجالت فيها نظرها طويلاً وهي تتلوَّن مرتبكةً حائرةً وقد لاحت على وجهها علامات الاسى والانقباض وجعلت تتململ في مكانها كمن لسعتهُ أفعى . اما ليديا فدهشت واضطربت افكارها ولم تدرِ كيف تؤوّل انقلاب الرئيسة وحيرتها و بالتالي تدقيقها الكثير في الرسالة وتحديقها الطويل في التوقيع . ولفرط استغرابها احبت ان تستفهمها عن الامر لكنها سكتت مخافة ان يكون ذلك نوعاً من الفضول . و بعد ان صمتت كلتاهما بضع دقائق وكلٌّ منهما تتبع سير افكارها انتبهت الرئيسة الى نفسها فرفعت طرفها الى ليديا وقالت لها باضطراب اذهبي الآن ايتها الحبيبة وغدًا نستأنف حديثنا في هذا الشأن . فتركتها ليديا وانصرفت وهي كمن في حلم . ولما انصرفت الفتاة قامت الرئيسة واسمها السيدة « ماريا نيقولايفنا » الى خزانة كتبها و بعد قليل عادت الى مقعدها و بيدها رزمة رسائل ملفوفة فتحتها بيد مرتجفة ونشرت احداها واذا فيها

« عزيزتي ماريا نيقولا يفنا

لقد اتى ايتها الحبيبة شهران كاملان وانا مغتربٌ عنكِ ولا أعلم هل يطول هذا الاغتراب بعد غير ان فؤادي يكاد يحترق بنيران الاشواق فبرّديهِ بكلمتين من خطكِ محبكِ المخلص

ايفان رتيشف »

ولما قرأت الرئيسة ذلك راجعت تلاوة كتاب ليديا حتى لم يبقَ عندها ريب ان حبيب الاثنتين واحد وكان ذلك اعظم مما تقوى على احتمالهِ فهاجت بلابلها واستغرقت في تأملاتٍ بعيدة تنقلت بها من طورٍ الى طور الى ان امعنت في عالم الخيال وتصوَّرت نفسها وهي في ريعان الشباب حينما تعرَّفت بهذا الرجل في مدينة موسكا ولم تكن سنُّها وقتئذٍ تزيد على العشرين وما جرى في اعقاب ذلك حينما كانت لا تسرّ الاَّ برؤيتهِ ولا ترتاح الاَّ الى محادثتهِ الى ان استدعت حبيبها هذا مهام اخر الجأتهُ ان يبرح موسكا . وكانت رسائلهُ اليها لا تزال تترى وهي امامها في تلك الساعة وكلها تنبئ بمحافظتهِ على الذمام بيد ان احوالهُ الخصوصيَّة حالت دون الاجتماع بها وعلى اثر ذلك انقطعت بينهما الرسائل . اما هي فدخلت وقتئذٍ احدى المدارس العليا فمكثت فيها بضع سنوات وسافرت بعد ذلك الى اماكن كثيرة ولم تعد تعلم في كل تلك المدة شيئاً من احوال حبيبها مع شدة شوقها اليهِ . ولما يئست من وجودهِ اخذت تتناساهُ شيئاً فشيئاً ومرَّت على ذلك عدة سنوات ولم يجرِ امامها لهُ ذكر ولا جآءها عنهُ خبر فعدّتهُ بين الاموات . ولبثت بعد ذلكِ منقطعةً بنفسها معتزلةً معاشرة الناس الى ان شخصت اخيرًا الى بطرسبرج واستلمت مقاليد هذه المدرسة حابسةً نفسها فيها صارفةً همها الى العناية بطالباتها

و بينا الرئيسة تناجي نفسها بمثل ذلك اذ استوقفها قرع باب المدرسة فارتعدت كأنها عالمةٌ بأن القادم عليها في تلك الساعة هو هو حبيبها ايفان غير انهُ صار اذ ذاك حبيباً لغيرها فكيف تقابلهُ و بأي كلام تحادثهُ . . . وانها لكذلك اذ سمعت قرعاً خفيفاً على باب غرفتها وصوت احدى الخادمات تقول ان في الباب زائرًا يطلب

مواجهتكِ يا حضرة الرئيسة . فارتبكت السيدة ماريا وتوقفت باديء بدء عن الجواب وهي لا تدري اي وجهٍ تعتمد واخيرًا تجلدت وقالت بصوتٍ عالٍ لا اريد مواجهة احد . . . وهكذا عاد ايفان رتيشف على عقبهِ دون ان يحظى بمواجهة رئيسة المدرسة ودون ان يعلم مَن هي . اما السيدة ماريا فكانت قلقةً اشدّ القلق وباتت ليلتها لم تذق اجفانها غمضاً وهي بين لائمة نفسها على عدم قبولها اياهُ ومصوّبة تصميمها على صدّهِ . وكانت قد داهمها شيء من الحزن او الغيرة اثر فيها شديدًا حتى كانت تأخذها في بعض الاحيان نوبٌ عصبية تسلب راحتها . اما ليديا فظلت على ما كانت عليهِ من الاجتهاد والرصانة وملازمة الدروس دون ان تعلم شيئًا من امر الرئيسة مع حبيبها وكانت تسعى جهدها الى استطلاع ما اقلق السيدة ماريا ودعا الى اضطرابها ولا سيما لانها لم تعد تفاتحها عقيب ذلك في هذه القضية البتة . غير انهُ لما ازف زمن العطلة المدرسية وجاءَت ليديا تشكر الرئيسة وتودّعها اجلستها هذه الى جانبها وقالت ها انكِ الآن تغادرين المدرسة ايتها الحبيبة وتلجين حياةً جديدة ولستِ تحتاجين فيما ارى الى الارشاد والنصيحة لانكِ حائزةٌ اشرف الكمالات الانسانية غير ان لي اليكِ حاجةً ارغب في قضآئها فهل تعدينني بذلك . فاجابت ليديا نعم يا سيدتي فلا احب اليَّ من قضآء حاجاتكِ . فقامت عندئذٍ الرئيسة الى خزانة كتبها ولم تلبث ان عادت و بيدها رزمة ملفوفة ومختومة دفعتها الى ليديا قائلةً هذه وديعتي ارجو منكِ ان تحتفظي بها وتسلميها الى زوجكِ بعد مضيّ ثلاثة ايام من عرسكما واني ادعو لكِ ولهُ بالدعة والهنآء . . . ثم قامت الى ليديا فعانقتها وقبّلت ليديا يديها ثم فصلت عنها وهي في اشدّ حالات الاستغراب من هذه الاسرار . . .

وكان بعد ذلك ان زُفت ليديا الى ايفان في احتفال شائق وفرح عظيم ولم تنسَ ليديا ان تقوم بالمهمّة التي كلّفتها اياها الرئيسة في اليوم الثالث من زفافها بادرت الى زوجها واعلمتهُ بالواقع ودفعت اليهِ الرزمة المعهودة وهي في غاية التشوّق الى معرفة ما فيها اذ لا بُدّ ان تكون محتويةً على ما يكشف لها هذه المعميات .

فأخذها ايڤان وما كاد يفضها حتى ارتعش بغتةً ووقف كالمبهوت لا ينطق ببنت شفة وكاد يسقط على الارض لو لم تتداركهُ ليديا بيديها اللطيفتين وتسرّ عنهُ اضطرابهُ باسلوبها العذب وهي متعجبة من امرهِ تشتهي من كل قلبها ان يطلعها على هذا السرّ الغريب الذي لا يزال يزداد غموضاً عنها وما برح موضع اهتمامها سنةً كاملةً . و بعد هنيهة سكن جأش ايڤان فاستوى في مقعدهِ وقال لزوجتهِ باسماً لا تستغربي يا فاتنتي ما صدر مني الآن ومتى اتضحت لكِ الحقيقة عذرتني ولا شك على ذلك. انظري يا ليديا في هذه الرزمة التي كُلِّفتِ نقلها اليَّ من رئيسة مدرستكِ ملخص حياتي منذ عشرين عاماً . ثم قصّ على زوجتهِ ما كان من امرهِ مع السيدة ماريا نيقولايفنا الى ان قال ولما يئستُ من وجودها كل تلك المدة جئت الى بطرسبرج وانقطعتُ فيها الى التدريس الى ان منّ الله عليَّ بجوهرة كريمة ابهجت ايامي واعادت لشفتيَّ الابتسام وهذه الجوهرة هي انتِ يا ملكة فؤادي

وكانت ليديا تسمع وهي شاخصة مبهوتة ولما فرغ ايڤان من حديثهِ قصّت عليهِ ما اصابها بسببهِ من الخسف والامتهان و بعد ذلك اخذ كلاهما يتأملان في تلك الرسائل و يتفكّهان بها الى ان عثرا على رقعةٍ كُتب فيها ما يلي « اهنئك يا مسيو رتيشف بعروسك الجديدة داعيةً الله ان يجعل حياتكما بركةً لك ولها وانا معيدةٌ اليك رسائل زمن الصبى وحلاوتهِ ملتمسةً ان تعيد اليَّ انت ايضاً رسائلي ان كنت الى الآن محافظاً عليها كما حافظت انا . ولا تطمع بعد الآن في مواجهتي لاني مودعتك وداعاً لا لقاء بعدهُ وثق اني لا اطلب لك الاَّ الهناء والسعادة والسلام

محبتك القديمة

ماريا . . . . .

فلم يلبث ايڤان ان تمم بغية السيدة ماريا فأعاد اليها رسائلها كما طلبت وعاش مع عروسهِ على أحسن حال من السعادة والنعيم وهما يعيدان على ذكراهما حادثة المدرسة والرئيسة والمعلمة رابين